النقد بين المفهوم والمهام: مدرسة فرانكفورت أنموذجا

Criticism between concept and tasks: the Frankfurt School as an example:

د/حاج علي كمال*

تاريخ الإرسال: 2020/08/30	تاريخ القبول: 10 / 10 / 2020	تاريخ النشر: 30 / 03 / 2021

الملخص:

لقد مثل النقد أهم دعائم الفلسفة الغربية، بداية من إيمانويل كانط الذي وضع دعائم المذهب التقدي، ووضح الحدود المشروعة لاستخدامات العقل، مرورا بكارل ماركس الذي انتقد إيديولوجيا المجتمع الرأسمالي والسلبيات التي أفرزتها الرأسمالية من طبقية واستيلاب، مما إلى اغتراب الإنسان، وصولا إلى رواد مدرسة فرانكفورت التي مثل النقد أساس فلسفتهم ومحور اهتمام أعضائها.

لذا سأحاول من خلال هذه الورقة البحثية الإلمام بآلية النقد لدى مدرسة فرانكفورت، وتفعيلها لهذه الآلية في نقد مشروع التنوير وتجاوز العقل التقني.

وقبل الخوض في الموضوع، سأقف عند التساؤل الذي يتبادر إلى الأذهان،والذي يحاول فهم أركيولوجيا النقد وأصوله الغربية فضلا عن المهام المنوط به، فكيف جعلت منه مدرسة فرانكفورت محور مشروعها الفلسفي؟.

الكلمات المفتاحية: النقد، النظرية النقدية، مدرسة فرانكفورت،العقل الآداتي.

المؤلف المرسل: كمال حاج علي kamelhadjali83@gmail.com

*جامعة 8 ماي 1945 قالمة. البريد الإلكتروني: kamelhadjali83@gmail.com

المنارة للاستشارات

Abstract:

Criticism represented the most important pillar of Western philosophy, beginning with Emmanuel Kant who laid the foundations of the doctrinal doctrine, and clarifying the legitimate limits of the uses of reason, through Karl Marx who criticized the ideology of capitalist society and the negatives that capitalism brought out from classism and alienation, which led to alienation of man, to school leaders Frankfurt, which is the criticism of their philosophy and the focus of its members.

So I will try through this research paper to get to know the mechanism of criticism at the Frankfurt School, and activate this mechanism incriticizing the Enlightenment Project and transcending the technical mind.

Before getting into the issue, I will stand on the question that comes to mind, and who is trying to understand the archeology of criticism and its Western origins as well as the tasks entrusted to it, so how did the Frankfurt School make it the focus of its philosophical project?

***Key words**:*

*** *** ***

1. **مقدمة:**

اعتقدت النزعات العلماوية والتقنوية والوضعية أن العلم يستطيع الإجابة عن كل التساؤلات وحل مختلف المشكلات، ممّا ولّد تحمسا متزايدا للعلم وتطبيقاته. الإنسان المعاصر يعيش أزمة، أفرزت تشيؤ الإنسان واغترابه، فعاملته معاملة الأشياء بحجة أنها تنشد الموضوعية ، والكشف عن النظام الذي يحكم عالم الإنسان،

وفي ظل الإفراط في استعمال العقل، الذي صيّرته عقلا أداتيا ينشد النجاح والتحكم، وأصبح في خدمة السياسات اللبيرالية، برز الاتجاه النقدي لمدرسة فرانكفورت الذي وقف عند سلبيات العقلانية التقنوية والعلماوية، فالتقدم التقني رسّخ السيطرة وقيّد الحريات، فقد نحا المجتمع اللبيرالي الصناعي إلى تحقيق إنجازات باهرة، لكن المتأمل في هذه الإنجازات كانت في اتجاه واحد، مجتمع الوفرة والرفاهية، ممّا أوقع الإنسان المعاصر في أزمة طبعت حياته الاجتماعية والسياسية والثقافية، عبّرت عنه إخفاقات الحضارة المعاصرة التي قرنت العقل بالتكنولوجيا والإنتاج،

واختزلت صورة العقل في العقلانية التكنولوجية، لذا عجزت عن حل مشكلات الإنسان المعاصر كفقدانه لحريته وطابع التشيؤ الذي طبع علاقاته الاجتماعية.

اتجهت مدرسة فرانكفورت إلى تقويض الآداتية والتقنوية، و لم تكتف بتوجيه النقد، بل طرحت مشروعا لإصلاح نظرية المعرفة وربط الفكر بالواقع والنظرية بالتطبيق.

ومن هنا نتساءل: إلى أي مدى استطاعت مدرسة فرانكفورت أن تطوّر نظرية نقدية قادرة على فهم الإنسان والمجتمع؟.

2. **مدرسة فرانكفورت وآلية النقد:**

تعتبرالممارسة النقدية خاصية محورية لدى رواد مدرسة فرانكفورت النقدية، وقد دفعتهم ظروف عصرهم إلى صياغة أساس لنظرية تكون أكثر مقدرة على تفسير الأوضاع المتجددة عن طريق القيام بنمط من النقد السلبي،

فقد اتصفت هذه النظرية بالتحليل الاجتماعي والنقدي، وإعادة بعث المشروع النقدي، فالمدرسة تدين في نشأتها إلى الفلسفة الماركسية و قبلها إلى الفلسفة الكانطية و الهيجلية، "وقد مثلا لنقد أحد أهم المسائل التي التقت فيها النظرية النقدية مع الفلسفة الكانطية، حيث جعل هوركها يمر من النقد ضرورة ملحة للخروج من الأزمة التي وقع فيها في شراكها العقل الغربي" ،ويعتبر كانط أبرز فلاسفة الغرب الذي ارتضى للفلسفة أن تأخذ بعدا نقديا، "وإذا عدنا إلى نقطة الانطلاق التي افتتح بها كانط مشروع النقد في عصر الأنوار، فإننا نستجلي أن هذه اللحظة الحاسمة ارتبطت بإعادة النظر في المنظومة الدوغمائية" ، و بهذا يعد كانط بحق بداية حاسمة في تاريخ الفكر الفلسفي قاطبة والفكر الفلسفي الغربي خاصة نتيجة عرضه العقل على محك النقد، ومميزا المبادئ النظرية للتفكير الصحيح عن الأوهام الميتافيزيقية، وأن يحدد مدى إمكاناته في نطاق التجربة الحسية، وقد وضح ذلك بقوله: "ويمكنه كذا أن تصبح مبادئنا التي تقصر استعمالا لعقل على التجربة الممكنة وحدها مبادئ عالية، وأن تصبح حدود عقلنا حدود إمكان الأشياء

المنارة للاستشارات

نفسها،إذا لم يكن هنا كنقد واع يحار بحدود العقل نفسه بالنسبة إلى استعماله التجريب، ويضع حدا لمزاعمه".

.قد مثل النقد أحد أهم المسائل التي يتقاطع فيها فلاسفة مدرسة فرانكفورت النقدية مع الفلسفة النقدية الكانطية .

وقداستطاع هيجل أن يطور فلسفة جديدة قائمة على الجدل،حيث أعلت من شأن العقل وأعطته بعدا جديدا، ويظهر ذلك في ثنايا كتاباته المتعددة، فالفلسفة المثالية الهيجلية القائمة على الجدل نقلت العقل إلى مرحلة النقد القائم على مفهوم السلب، "ولقد استطاع هيجل – كما يفسر هماركيوز- أن ينقل المذهب المثالي من مرحلة الاستسلام للأمر الواقع والمدافع عنه إلى مرحلة النقد المكافح الذي يعتمد – في مجال الفكر–على مفهوم السلب" ،فالجدل الهيجلي يساهم بشكل إيجابي في فهم الواقع ومحاولة تغييره. وقد عثر ماركوزفي فلسفة هيجل على إمكانية الربط بين العقل وما يتضمنه قدرات نقدية لفضح الواقع السياسي والاجتماعي من جهة،والنزعة الثورية الثورية.

اعتقد هاربرت ماركوز أن هيجل استطاع أن يجعل من العقل قوة ثورية قادرة على امكانية تغيير الوجود الإنساني.

اكتسى النقد حلة جديدة مع كارل ماركس حتى وإن تأثّر ماركس بأستاذه "هيجل" بتبنيه للمنهج الجدلي، لكنه طوّعه لخدمة فلسفته الجديدة، فقد طور هذا الجدل من الطابع المثالي إلى جدل مادي تحكمه حركة المادة وتطورها، بعد أن كان مثاليا باعتباره تطور تلقائي للأفكار عند "هيجل".

انتقد ماركس أفكار أستاذه هيجل الذي ورث عنه المنهج الجدلي، وعمد إلى توجيه الجدل إلى نقد المجتمع وأوضاعه الاقتصادية، بدل النقد المثالي للأفكار، فقد أكّد ماركس على مفهوم الطبقة الاجتماعية كمفهوم أساسي تقوم عليه فلسفته الاجتماعية، ورأى أن التطور الاجتماعي محكوم بالصراع الطبقي والتناقضات الاجتماعية، وطبقا للمادية التاريخية قال بحتمية التغيير الاجتماعي، وانتقد ماركس

كثيرا النظام الرأسمالي نتيجة المساوئ والعيوب التي علقت به كالطبقية والاستيلاب والاستغلال والظلم...الخ.

و"تاريخيا، يمكن القول بأن النظرية النقدية تمتد بجذورها إلى الماركسية، عبر حلقات أسبوع الأعمال الماركسية، التي انبثقت منها فكرة تكوين معهد البحوث الاجتماعية"[1].

لقد حاول هوركهايمر من خلال نظريته النقدية أن يُفعّل النقد الثقافي والاجتماعي، وعارض بالنظرية النقدية النظرية التقليدية، ولخّص أهداف مدرسة فرانكفورت النقدية التي ترأس معهدها – معهد البحوث الاجتماعية- سنة 1930 في كتابه الموسوم ب"النظرية النقدية والنظرية التقليدية" (1947).إن الفلسفة بوصفها تفكيرا تحليليا ونقديا منوط بها المساهمة في تأمل ووعي المشكلات المتسارعة والمتجددة التي أنتجتها الحضارة التقنوعلمية والتي لم يعرف لها الإنسان مثيلا عبر تاريخه الطويل.

وقد مثّلت مدرسة فرانكفورت فكرا حيويا تبنى مقاربة نقدية للفكر والواقع، فكر اتصف بالجدة والأصالة، ومتميز من حيث الطرح جاعلة من نقد المقاربات الوضعية وما أنتجته من تشيؤ واستيلاب وتحويل العقل إلى الأداتية مهمتها الأولى، مستفيدة من الإرث الماركسي كإطار نظري فكري، متفادية بعض مبادئها التي لا صلة لها بالتغير الاجتماعي والاقتصادي الراهن.

استفادت مدرسة فرانكفورت من الإرث النقدي الذي قامت عليه الماركسية جاعلة منه منهجا للتغيير، ففعّلت الآليات النقدية لمواجهة انتشار البرجوازية وبيان تهافته وزيفه، ومعالجة الأزمات التي أوقع فيها المجتمع الغربي المعاصر، "فمن غير الضروري فصل التقدم التقني للعهد البرجوازي عن وظيفة المشروع العلمي هذه"[2]، فقد أصبح العلم في خدمة غايات سياسية واقتصادية وثقافية.

3-مدرسة فرانكفورت ونقد مشروع التنوير:

قام مشروع التنوير على التأكيد على دور العقل والإعلاء من شأنه ساعيا لتحقيق تقدم الإنسانية، وهذا التقدم لن يتحقق إلا بتجاوز سلطان الهيئات الدينية والسياسية لمصادرتها لحق الإنسان في التفكير، وفي ممارسته لحريته، ومساهمته في بناء دولته...الخ،

المنارة للاستشارات

وهي حقوق ثابتة للإنسان، لذا برز مشروع التنوير لتحرير الإنسان من القيود التي أجلت تقدمه، وكبلت حريته، ويدفعه إلى تجاوز مخاوفه، وهو مشروع شيدته فلسفة كانط وغيره من الفلاسفة، والتي عبرت عن روح ذلك العصر المتطلع للتقدم والحرية، ولا يتحقق ذلك إلا "بخروج الإنسان من التصور الذي هو مسؤول عنه، والقصور هو حالة عدم استخدام عقله دون إرشاد الغير، وأن المرء نفسه مسؤول عن حالة القصور هذه عندما يكون السبب في ذلك ليس نقصا في العقل، بل نقصا في الشجاعة دون استعماله دون الغير. تجرأ على أن تعرف، كن جريئا في استعمال عقلك أنت، ذلك شعار الأنوار"[3]، فهذا القصور ناجم عن جهل الإنسان وخوفه واستسلامه للوصاية وخضوعه للسلطة، غير أن مشروع التنوير دعا إلى الاستنارة ومزيدا من المعرفة، وتطوير القدرات الذاتية لبناء حضارة على أساس العقل والعلم والحرية.دفع مشروع التنوير الإنسان لتخطي مخاوفه وتحقيق مزيدا من الحرية، لكن عقل الأنوار في زمن عصر الحداثة تحول عن أهدافه لصالح التقنية والآداتية التي أخفت الهيمنة والسيطرة حسب تصور مدرسة فرانكفورت.

إن فكر مدرسة فرانكفورت مراجعة للحداثة الغربية، ونقد أسسها التنويرية، حيث قدم العقل التنويري نفسه ناطقا باسم العلم القائد لأسطورة التقدم، لكن سرعان ما تخلى عن وظيفته التقدية لصالح اللاعقلانية متحالفا مع السلطة السياسية.

شكلت مدرسة فرانكفورت نظرية نقدية فلسفية واجتماعية، فانتقدت عقلانية الحداثة التي رأت أنها تحولت إلى عقلانية تقنية آداتية، وقد مارس روادها النقد الجذري لإرث التنوير وتأثيره على واقع المجتمع الأوربي.

بعد دراسة قاما بها أبرز رواد مدرسة فرانكفورت، وهما هوركهايمر وأدورنو لتقييم مشروع التنوير في المؤلف الشهير الموسوم ب"**جدل التنوير**"، خلصا إلى أن المشروع وقع في أزمة الهيمنة على الإنسان والتحكم في مصيره، على عكس ما كان ينادي به هذا المشروع من تحرر الإنسان من كل القيود والأساطير، لكنه خلق أساطير جديدة كأسطورة التقدم العلمي والتقني وأسطورة التحكم في الطبيعة وفي الإنسان ومصيره،

حيث "استقى التنوير جوهر مادته من الأساطير، مع أنه كان يريد القضاء عليها، وحين مارس وظيفة الحكم ظل واقعا تحت سحرها"[4].

غير أن مشروع التنوير كان يخفي أهدافا سياسية واقتصادية غير معلنة، لكنّها كانت تتخفى تحت شعارات كالعلم والمساواة والحرية...الخ، حيث تمّت السيطرة على الإنسان الحديث باسم العقل والعلم، "وإن التكهن الذي نربط فيه بين تحول التنوير إلى الوضعية، وإلى أسطرة ماهو موجود، وأخيرا التماهي بين العقل وما هو ضدّه"[5]. فأصبح العقل الحديث تابعا أو بالأحرى عبدا للتقنية. "وفي هذا التحوّل نحو التقنية فقدنا عنصر التأمل الذي يعيد للإنسان هيبته أمام كل استحواذات التقنية"[6]، لكن "هذا العقل الذي بلغ حدودا قصوى صار من الوجوب بمكان استعادته ليكونأكثر إنسانية وأقل آلية وأقل تمجدا، وأقل وقوعا في الشمولية أو التوتالية"[7]، الأمر الذي حذا بمفكري مدرسة فرانكفورت لإيجاد حل عقلاني للمأزق الفكري الذي آلإليه المجتمع الغربي جراء الانصياع وراء النزعات الآلية المفرطة والمادية المتطرفة، ممّا أنتج الإستيلاب والتشيؤ.

لقد تحول التنوير عن أهدافه (التحرر) إلى أداة للهيمنة، والحل يكمن حسب أصحاب **"جدل التنوير"** إلا في إتباع مايلي: " لا يجد التنوير ذاته إلا حين يرفض كل تواطؤ مع أعدائه، وحين يجرؤ على نفي الخطأ المطلق الذي هو مبدأ السيطرة العمياء"[8]، فلا يحقق التنوير غايته إلا حينما يتم فصل الترابط بين العقل والتكنولوجيا.

مارس أدورنو وهوركهايمر في جدل التنوير منهجا تحليليا منتقدين الوضعية التي آلى إليها العقل، فقد قدما توصيفا حقيقيا للانتكاسة والانحراف اللذين أصابا مشروع التنوير ، نظرا لعامل النكوص الذي لحق العقل إذ استسلم لأساطير جديدة تقوم مقام الأساطير القديمة، وسلم العقل أمره للواقع الجديد، فانسحب من مهمته الأصلية وهي ممارسة النقد، فوجد نفسه مستغرقا في خدمة المنفعة وخاضعا للصناعة ومقتضياتها في المجتمعات الرأسمالية ، مما أوقعه في أزمة نتيجة توظيفه لخدمة الإنتاج الصناعي، حيث تعمل السلطة السياسية على استغلال العقل لصالحها، بتسخيره لخدمة أغراضها

المنارة للاستشارات

التسلطية التحكمية باسم العقل، عن ابتكار أفضل التقنيات وتلبية حاجات الفرد الاستهلاكية.

وضح فلاسفة مدرسة فرانكفورت أن عقل التنوير وقع فيما بعد تحت طائلة سيطرة جديدة، وهو ما حدث في عصر الحداثة للعقل من اغتراب وتشيؤ مفرغة إياه من عناصره الأخلاقية والإنسانية. لذا يمكن النظر إلى الحداثة من زاوية مغايرة لمنطلقاتها النظرية، ويمكن تقييم المشروع التنويري الذي خلق أساطير جديدة بعدما كان يحاربها.

وقد كانت هذه النتائج محل تقييم نقدي من طرف مفكري مدرسة فرانكفورت، هذا النقد الفلسفي انصب على إنتاجات عقل التنوير، فبعدما كان ينشد الحرية باسمالعلم والعقلانية، لكن سرعان ما تحوّل هذا العقل إلى أداة للاغتراب والتشيؤ، فصار عقلا أداتيا حسب فلاسفة فرانكفورت.

إن التقدم المادي الذي حققته الإنسانية اليوم يهدف إلى تحقيق الثراء والقوة والهيمنة، فيتحول الإنسان إلى مجرد غاية بيد الأنظمة الرأسمالية الصناعية.

قامت مدرسة فرانكفورت بمراجعات فكرية للحداثة الغربية، منتقدة الأسس التي قامت عليها، وهي أسس تعود إلى فلسفة التنوير، فالحاصل أن هذه الحداثة حادت عن أصولها التنويرية، وهو ما أزاح اللثام عنه فلاسفة هذه المدرسة النقدية من أن الحداثة ارتدت ثوب العلم وادعت تمجيده، لكنها اتخذته مجرد أداة لتحقيق مطالب المجتمع المادية الزائفة، الأمر الذي صير العقل عن أهدافه وحولته من عقل تنويري إلى عقل آداتي.

إن التنوير الحقيقي عند مدرسة فرانكفورت هو إعادة تكوين الوعي الإنساني، حتى يكون قادرا على نفي الواقع البائس وفق نظرة نقدية عقلانية تتجدد ذاتيا وتهدف إلى بناء محيط اجتماعي تواصلي.

4. نقد العقل الأداتي وتجاوز النزعة الوضعية:

لقد ساد في الفكر الغربي مفهوما جديدا، هو مفهوم الحداثة بما يحمله من زخم معرفي وفكري، ودعوته إلى تجاوز المعرفة التأملية ذات الطابع الصوري، إلى معرفة عملية

تقنية تقوم على توظيف العقل التجريبي الرياضي، والفعالية للتحكم في الطبيعة والإنسان، أي غدا العلم مصدر كل شرعية اقتصادية أو سياسية أو ثقافية.

لقد أصبح عصر الحداثة عصر العلم والتقنية والاكتشافات الجديدة والقطيعة مع القديم، وباختصار فالحداثة تغيير في كل الميادين المعرفية والاجتماعية والأخلاقية، وعقلنتها بما يناسب روح العصر، وقد عبّرت الوضعية عن هذه العقلنة تعبيرا واضحا، بدعوتها إلى مجتمع صناعي، وإحلال السلطة العلمية بدل السلطة الدينية.

مع بزوغ عصر الحداثة الغربية في عصر الأنوار الذي أكّد على ثقة الإنسان في قدرات عقله، خاصة بعدما حقّقه هذا الأخير من اكتشافات علمية، جعلت الإنسان سيّدا على الطبيعة فسخّرها لتحقيق رفاهيته وحريته وتجاوز مخاوفه، واستطاع التخلص من الوصاية التي كانت مفروضة عليه، فانتقل الإنسان الغربي إلى حياة جديدة قائمة على العقل والعلم، غير أنّ تبعية العقل المطلقة لغايات العلم التقنوية حوّلته إلى عقل أداتي **(instrumental)**، وأصبحت أهداف العلم موجّهة نحو التطبيقات التقنية، وتمّ التعامل مع الطبيعة بمنطق مادي محض تحكمه المنفعة والمصلحة البراغماتية، بعيدا عن أي غايات فنّية وجمالية.

رسّخت التقنوية والعلماوية سيطرة الإنسان عن الطبيعة، وأدّت إلى ظهور لون جديد من السيطرة، تمثّل في سيطرة الإنسان على الإنسان، وهو ما أفرزته المجتمعات الصناعية الغربية من هيمنة واستيلاب فصرفت الحداثة عن أهدافها، حيث " ترسّخ العقل الهادف والمحكوم بالنجاح في محيط متموضع ضمن وجهة نظر التحكم التقني الممكن"9.

عكفت مدرسة فرانكفورت على نقد النزعة الوضعية والتأثير الإيديولوجي للعلم والتكنولوجيا في المرحلة الثانية من عمرها (1933-1950)، وهي مرحلة انتقال أعضاء المدرسة إلى أمريكا، وهناك قدموا تحليلا للمجتمع الرأسمالي وبحث قضايا الهيمنة العامة والقهر التقني وصناعة الثقافة.

المنارة للاستشارات

حلل هوركهايمر النزعة الوضعية، فرأى أنها كانت عاملا أساسيا في ظهور العقل الآداتي، هذا الأخير الذي تحول إلى مجرد قوالب صورية فارغة، فتحول من كونه ملكة تقوم على أسس عقلانية موضوعية إلى قدرة فردية ذاتية تسخر لخدمة غايات معينة عوض الكشف عن الحقيقة الموضوعية وخدمة الشأن العام.

لقد أرجع أعضاء مدرسة فرانكفورت العقل الآداتي إلى عنصر ثقافي ليس مادي، ورأى هوركهايمر وأدورنو أن الأصول القديمة لهذا العقل تعود إلى الأساطير اليونانية القديمة خاصة أسطورة أوديسيوس.

ظهرت البوادر الأولى للعقل التقني مع عصر التنوير، الذي دعا إلى تحرير الإنسان وترسيخ ثقته بنفسه وقدرة عقله، والإعلاء من شأنه بتأكيد سيطرته على العالم، ويعود أصل العقلانية الأداتية إلى ديكارت عندما اعتبر الذات أساس المعرفة (الكوجيتو) وجعل الإنسان سيّدا على الطبيعة.

إن الفحص الناقد للعقل الآداتي يؤكد أن العلم والتقنية أصبحا إيديولوجيا، فالروح التكنولوجية والصناعية والقيم الاستهلاكية كشفت عن إيديولوجيا المجتمع الصناعي، وخلص ماركوز إلى أنها تتميز بالآداتية.

رأى هاربرت ماكوز أن المجتمع الصناعي كان نتيجة حتمية للنزعة الوضعية، فعمل هذا المجتمع على خلق حاجات زائفة باستمرار تتطلب الإشباع وتدفعه إلى تحقيقها، أدان ماركوز إرادة مجتمع السيطرة المسؤولة عن الذهنية الغريزية والاستهلاكية عند الإنسان المعاصر.

أن منحى النزعة الوضعية نحو العلم والتقنية والمسارعة نحو المعرفة التطبيقية، أحدث اضطرابا على مستوى العقل الذي أثر سلبا على سيرورة المجتمع المعاصر، وهو التأصيل لإنسان ذو بعد واحد حسب ماركوز عن طريق الدعاية ووسائل الاتصال الجماهيري.

واصل هابرماس جهود سابقيه من فلاسفة مدرسة فرانكفورت النقدية الرامية إلى تقويض الآداتية والتقنوية، غير أنّه لم يكتف بتوجيه النقد، بل طرح مشروعا لإصلاح نظرية المعرفة وربط الفكر بالواقع والنظرية بالتطبيق.

واصل "هابرماس" البرنامج النقدي الذي أسّسه سابقوه من مفكري مدرسة فرانكفورت، ففي "المعرفة والمصلحة" عمل على تعميق الأسس المعيارية للممارسة النقدية، للتحرر من هيمنة الأداتية، واقترح للخروج من المأزق الأداتي الانتقال إلى العقل التواصلي القائم على براديغم اللغة بوصفها قادرة على إنتاج عقلانية تواصلية، مستعينا بالتطور الحاصل في مجال الألسنية والتداولية للوصول إلى تفاهم متبادل، ويجب البحث عن هذا البراديغم في اللغة باعتبارها الإطار الذي يحدث فيه التواصل، ويمارس الإنسان من خلاله الفعل الاجتماعي، لذلك نجد أن "هابرماس" "يقترح بروتوكولا منهجيا لإعادة بناء العقل التواصلي على أسس لغوية واجتماعية وسياسية وأخلاقية، ولصوغ مجال عمومي يخضع، في الأول والأخير، لقوة أفضل برهان"[10].

عمد "هابرماس" إلى نقد المعرفة والأهداف الإيديولوجية المرتبطة بالعلم والتقنية، فقد أعاد بناء المعرفة على أساس نقدي، ووضّح هذا الطابع في **"العلم والتقنية كإيديولوجيا"**، ثمّ أتمّه ونظّمه في صورة واضحة ومتكاملة في مؤلفه اللاحق **"المعرفة والمصلحة"**.

5.خاتمة:

لقد استعان فلاسفةمدرسة فرانكفورت بالنقد المنهجي، لإحداث التغيير المناسب، و توجيه النقد لكل مظاهر الأداتية والآلية المفرطة التي أفرزت التشيؤ والاغتراب، و مواجهة تنامي الأداتية والآلية، بتوجيه النقد للإستعمالية المباشرة للعقل والعلم على حد سواء، فأصبح العقل مجرد أداة للتبعية والسيطرة، بعد أن كان يصبو إلى التحرر والانعتاق،فبعدما كانت تصبو العقلانية للسيطرة على الطبيعة تعدّت ذلك إلى التحكم في الإنسان، أي إخضاع كل الظواهر للتقنين العلمي والضبط والتنبؤ.

نستنتج ممّا سبق أن مفكري مدرسة فرانكفورت وقفوا موقف العداء من العقل الأداتي، الذي ولد في أحضان عصر التنوير، هذا العصر الذي دعا إلى التحرر من الكنيسة والأنظمة الاستبدادية، ودعوته إلى العلم والمعرفة إلاّ أنهسرعان ما تحوّل إلى الهيمنة ،ولهذا تسلحوا بالعقل النقدي، قصد تغيير الواقع وانتشال الإنسان المعاصر

المنارة للاستشارات

من هيمنة الأداتية، لأن النقد يمثّل أهم الآليات الفعالة في تغيير الواقع، والكشف عن الوهم الذي يعيشه الإنسان المعاصر.

حاولت هذه المدرسة أن تعيد للإنسان المعاصر المُستلب الماهية، إنسانيته وتُخرجه من الأزمة التي أصبح يرزخ تحت نيرها، وتعيد وعيه بذاته وتفعيل تفكيره القادر على تغيير الواقع وعدم الركون إليه.

6. الهوامش:

1- توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعد هجرس، ط1، دار أويا للطباعة والنشر طرابلس ليبيا 1998، ص25.

2- ماكس هوركهايمر، النظرية التقليدية والنظرية النقدية، ترجمة محمد الناوي، مراجعة مصطفى خياطي، ط1، دار عيون المقالات الدار البيضاء المغرب 1990 ، ص13.

3-إيمانويل كانط، ما الأنوار؟ ترجمة وتعليق محمود بن جماعة، دار محمد علي للتشر صفاقص 2005، ص85.

4-تيودور أدورنو وماكس هوركهايمر، جدل التنوير، جدل التنوير، شذرات فلسفية، ترجمة جورج كتورة، ط1،دار الكتاب الجديدة المتحدة إفرنجي ، 2006.ص32.

5- هوركهايمر وأدورنو، جدل التنوير، ص06.

6مجموعة مؤلفين، مدرسة فرانكفورت النقدية، مرجع سابق، ص31.

7هوركهايمر وأدورنو، جدل التنوير، ص- ص09-10.

8المصدر نفسه، ص 32.

9يورغن هابرماس، المعرفة والمصلحة، ترجمة حسن صقر، مراجعة إبراهيم الحيدري، ط1، منشورات الجمل بالتعاون مع المجلس الأعلى للثقافة مصر، كولونيا ألمانيا 2001، ص162.

10محمد نورالدين أفاية، في النقد الفلسفي المعاصر، مصادره الغربية وتجلياته العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004. ص71.